الفصل العاشر

رعية المسيح

تأليف: أدي كلور

«ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد» (يوحنا ١٠: ١٦).

«احترزوا إذاً لأنفسكم ولجميع الرعية التي أقامكم الروح القدس أساقفة لترعوا كنيسة الله التي اقتناها بدمه» (أعمال ٢٠: ٢٨).

عندما تغمرني المسؤوليات، أفكر في قصة الساعة التي أصابها الوهن. وتحسب ساعة الحائط القديمة عدد المرات التي تدق فيها في كل سنة، فكان العدد هائلا بالنسبة لها. وعندما فكرت في هذا العدد الكبير المذهل وهنت عزيمتها حتى قررت التوقف عن الدق. فقد استخلصت بانها لا يمكنها ان تدق كل هذه الدقات الكثيرة. وسرعان ما أدركت ساعة أخرى بوهن عزيمتها، وبدأت تحدثها. ساعدتها بان تلاحظ ان عليها ان تدق يوماً واحداً بعد يوم وساعة واحدة بعد ساعة ودقيقة واحدة

بعد دقيقة، فعالجت نصيحتها كآبة الساعة القديمة. عندما بداءت التفكير بانها تدق دقة واحدة فقط كل مرة، جدد ذلك من عزيمتها، وأعطاها نظرة جديدة للحياة، وحثتها على ان تبدأ بالدق من جديد.

يوبخنا الرب بقوله: «فلا تهتموا للغد. لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليوم شره» (متى ٦: ٣٤). من إحدى علاجات وهن العزيمة هي ان نعش الحياة يوماً بعد يوم.

هل أنت خائف؟ هل تضطرب بسبب القدرات الهائلة التي يملكها الشرير كي يتغلب على شعب الله؟ هل تقلق بسبب ما يخبيه الغد؟ هل أنت خائف من عدم تمكنك اتمام إلتزاماتك للرب؟ تحدث يسوع عن هذه المخاوف ومخاوف أخرى كثيرة بمثال توضيحي ورد في الأصحاح العاشر من إنجيل يوحنا. حيث وصف أتباعه بانهم رعيته، وصور علاقته بهم على انها مثل علاقة الراعي بخرافه. عندما تكون خائفاً أو قلقاً تذكر هذا التشبيه. فانه يعزيك ملاحظاً ان «الذي فيكم أعظم من الذي في العالم» (١ يوحنا ٤: ٤). ويذكرك أيضاً عن المحبة العظيمة والاهتمام الذي يتلقاهما أتباع يسوع.

استخدم يسوع هذا الوصف لكي يتحدث عن علاقته مع أتباعه في ذلك الزمان، كما كان يتوقع ان تكون هي العلاقة بينه وبين أتباعه في المستقبل والذين يسميهم كنيسته (متى ١٦: ١٨). يصور هذا الوصف الراعي الصالح الذي يضع حياته عن خرافه (يوحنا ١٠: ١٥ ، ١٧ ، ١٨). هذه إشارة مباشرة إلى صلب يسوع، أي الطريقة التي بها اقتنى الكنيسة (أعمال ٢٠: ٢٨؛ أفسس ٥: ٢٥). وقد تحدث عن خراف أخرى تأتي إليه: «ولي خراف أخر ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد» (يوحنا ١٠: ١٦). هذه الآيات تبين لنا بانه يجب اعتبار الكنيسة كرعية يسوع.

التفكير في ان الكنيسة هي رعيته يجعلنا نقدّر ما عمله يسوع لكنيسته. إذاً لنطرح السؤال: «ما هي عَلاقة المسيح برعيته التي هي الكنيسة؟ ماذا يفعل المسيح كراعي لكنيسته؟»

المسيح هو رب الكنيسة

الحقيقة الأولى الواضحة في هذا الوصف هي ان المسيح هو رب الكنيسة. الراعي الذي شبه يسوع نفسه به هو صاحب الخراف؛ هو الذي يملك ويتسلط على الرعية.

كل من يدخل الرعية يصير من ملكية المسيح كما تكون الخراف ملكاً للراعي. يتفرع مفهوم الملكية هذا إلى اتجاهين. أولاً: يتضمن على ان الخراف تعيش للراعي. ما دمنا تابعين للمسيح فنحن عبيده (فيلبي ١: ١). ثانياً: تشير إلى ان الراعي يحيا للخراف. الراعي كصاحب الخراف يحب خرافه ويكون مسؤولاً عنها ويعتني بها. الملكية هي مسؤولية كبيرة، والراعي الصالح يتمم تلك المسؤولية.

قال شخص ما: «لا يهتم أحد بالأطفال كما يهتم بهم والديهم». السبب في هذه الحقيقة واضح: يعترف الوالدين بالأولاد كأبنائهم الخاصين. قد أتوا بأولادهم إلى هذا العالم؛ وهم من نفس الجسد والدم، فهما المسؤولان عنهم. يفرحان بأولادهما، ويعتنيان بهم، ويخططان لمستقبلهم.

يمكن ان نتأكد بان المسيح ابن الله القدير يرفق ويهتم اهتماما فائقا بذويه. قدم داود في مزمور الشكر، شكراً لاهتمام الله المستمر بحاجته المادية: «كنتُ فتىً وقد شخْتُ ولم أر صديقاً تُخلي عنه ولا ذرية له تلتمس خبزاً» (مزمور ٣٧: ٢٥). نصح يسوع تلاميذه في الموعظة

على الجبل قائلاً: «فلا تهتموا قائلين ماذا نأكل أو ماذا نشرب أو ماذا نلبس» (متى ٦: ٣١). قال يسوع: «السارق لا يأتي إلا ليسرق ويذبح ويهلك. وأما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل» (يوحنا ١٠: ١٠). الراعي الصالح يملكنا ويعتني بحاجتنا المادية والروحية.

يجب ان تؤثر هذه الحقيقة فينا تأثيرا عظيماً. ملكية المسيح لنا تعني انه هو المسؤول عنا. فلماذا نقلق؟ ولماذا نخاف؟ ثق في الراعي الصالح الذي يسهر عليك. الشيء الوحيد المطلوب منا هو ان نتبع الرب يسوع؛ وهو يتولى باقي الامور.

المسيح يقود الكنيسة

ثانياً: يذكرنا مثال «الراعي الصالح» بان المسيح يقود الكنيسة. كما تتبع الخراف راعيها هكذا تتبع الكنيسة المسيح. نعرف صوته ونستجيب لصوته. قال يسوع:

> الحق الحق أقول لكم، إن الذي لا يدخل من الباب إلى حظيرة الخراف بل يطلع من موضع آخر فذاك سارق ولص. وأما الذي يدخل من الباب فهو راعي الخراف. لهذا يفتح البواب والخراف تسمع صوته فيدعو خرافه الخاصة بأسماء ويخرجها (يوحنا ١٠: ١-٣).

كان الراعي يأتي بخرافه إلى حظيرة المجتمع كل ليلة، وهي نوع من زريبة مُسَيَّجة {أي في داخل سياج} لها مدخل واحد فقط. وعند ذلك الباب يقيم البواب طوال الليل. وفي الصباح يأتي الراعي الذي يكون معروفا من قبل البواب، ويسمح له بالدخول إلى الزريبة، فينادي خرافه إليه ويقودهم خارجاً إلى المرعى. على اللص أو السارق ان يتسلق السور ليدخل الزريبة. لان البواب لا

يعرفه ولا يسمح له بالدخول إلى الزريبة.

قال يسوع أيضاً: «ومتى أخرج خرافه الخاصة، يذهب أمامها والخراف تتبعه لأنها تعرف صوته. وأما الغريب فلا تتبعه، بل تهرب منه لأنها لا تعرف صوت الغرباء» (يوحنا ١٠: ٤ و٥). في الصباح عندما يأتي الراعي ليخرج خرافه من الزريبة، لا يتقدم إلا قليلاً أمام الزيبة وينابيها. فتسمع خرافه صوته وتسرع إليه. عندما تخرج الخراف من الزريبة لا تكون لها اية حماية إلا حماية راعيها. وهي تعتمد عليه كل الاعتماد ليقودها حيث ترعى بلا خوف او أذى.

كان الراعي هو أيضاً سيّد خرافه. تمضي الخراف حيثما يقودها، لأنها تكون تحت رعايته وحكمته. الشيء الذي يميز الخراف عن غيرها من الحيوانات هي انها تتبع. لا يوجد لها الاحساس بمعرفة الاتجاه. واذا تُركت لوحدها فانها تقع في مشاكل لا حدود لها! ولكنها تتمتع بالحياة عندما تُقتاد بطريقة صحيحة.

نحن كالخراف من هذه الناحية. فبدون القيادة نتعثر مثل عمى يلتمسون يد العون. كتب إشعياء النبي: «كلنا كغنم ضللنا، ملنا كل واحد إلى طريقه ...» (إشعياء ٥٣: ٦). وقال إرميا: «عرفتُ يا رب أنه ليس للإنسان طريقه. ليس لإنسان يمشي أن يهدي خطواته» (إرميا ١٠: ٢٣). لا بد أن يكون لنا الإرشاد الصحيح وإلا فالمصائب تكون في انتظارنا.

يسوع المسيح لنا مثل
الراعي الصالح للخراف –
هو قائدنا ومرشدنا

يسوع المسيح لنا مثل راعي الخراف الصالح – هو

قائدنا ومرشدنا. هو رأس الكنيسة (أفسس ٥: ٢٣)، وقائد خلاصنا الذي يأتي بنا إلى مجد (عبرانيين ٢: ١٠). ننظر إليه باعتباره «حكمة من الله وبراً وقداسة وفداء» (١ كور ١: ٣٠). العلم بعجزنا ومعرفة من هو، يجعلنا ندرك بان المهمة الأساسية في الجهاد المسيحي، هي ان ننظر إلى «رئيس الإيمان ومكمله يسوع» (عبرانيين ١٢: ٢). لا ننظر إليه فحسب، بل نعتمد عليه كقائدنا وربنا.

تخيل انك تحاول قيادة سيارة بدون المصابيح الأمامية ليلاً على طريق جبلي ذات منحنيات صاعدة ونازلة، ومنعطفات حادة وجوانب مثل وادي منحدر. ان القيام بهذا يكون انتحارا. سيكون الحادث محتوما؛ أنك لا تعلم متى وأين يقع الحادث. هذه الحالة تمثل وصف دقيق لإنسان خاطيء يريد أن يشق طريقه في هذا العالم دون توجيه إلهي. كالإنسان الذي يقود سيارة ليلاً من دون المصابيح الأمامية في طريق خطر، فهو مقبل إلى هلاك اكيد!

ولكن يؤكد لنا يسوع بانه يعطي خرافه توجيه إلهي وبان جبال ووديان وجداول الحياة لا تخوّفنا. بيسوع قائداً لنا، نرتاح البال ونطمئن ونحن نمرَ بالحياة.

سألت جماعة الصيادين وقد بدأوا رحلتهم خلال منطقة الأدغال بجنوب إفريقيا مرشدهم: «هل لديك خريطة؟» فأجاب: «أنا هو خريطتهم!». هكذا بالضبط علاقة يسوع بنا – يسوع هو خريطتنا بواسطة كلمته! قال شخص ما: «يمكن لأحد أن يستمع إلى يسوع دون أن يتبعه، ولكن لا يقدر أحد أن يتبع يسوع دون أن يستمع إليه». فنحن نستمع إلى كلمته ونتبعه.

عندما نواجه الحقيقة باننا لا نملك القدرة على التوجيه قد توهن عزيمتنا، ولكن الإدراك بان لدينا راعي

كامل الحكمة ولا يخطيء، تتحول خيبة الأمل التي فينا إلى شكر وتقدير دائم بسبب علاقتنا مع يسوع. حيث يمدنا قائدنا القدير والكامل الحكمة بحاجتنا العظمى.

يحب المسيح الكنيسة

ثالثاً: هذا المثال يوصف المسيح بانه الراعي الصالح الذي يحب الكنيسة وشاء أن يبذل حياته عنها. هو يهتم بالخراف ويحميها بتضحية حياته. قال يسوع:

> أنا هو الراعي الصالح. والراعي الصالح يبذل نفسه عن الخراف. وأما الذي هو أجير وليس راعياً الذي ليست الخراف له، فيرى الذئب مقبلاً ويترك الخراف ويهرب. فيخطف الذئب الخراف ويبددها. والأجير يهرب لأنه أجير ولا يبالي بالخراف. أما أنا فإني الراعي الصالح وأعرف خاصتي وخاصتي تعرفني كما أن الآب يعرفني وأنا أعرف الآب. وأنا أضع نفسي عن الخراف (يوحنا ١٠: ١١-١٥).

يسوع الراعي الصالح يقف في تباين حاد مع نوعين آخرين من الرعاة. أولاً: انه ليس كالأجير، أي الراعي الذي يخدم من أجل الاجرة فقط. الاجير هو مرتزق، أي يخدم من أجل الأجرة فقط. رغم انه ليس شريراً أو مؤذياً لكن ليس له اهتمام شخصي بالخراف كما للراعي الحقيقي. حالما يتمم مهمته، لا يكون له شعور نحو الخراف. ثانياً: يسوع ليس كالراعي غير الأمين الذي يخفق في مهمته بسبب همومه الأنانية. كتب حزقيال النبي عن الراعي غير الأمين بلغة شديدة اللهجة كما كان يتكلم بإرشاد الله:

> المريض لم تقوُّوه والمجروح لم تعصبوه والمكسور لم تجبروه والمطرود لم تستردُّوه والضال لم تطلبوه، بل بشدة وبعنف تسلطتم عليهم فتشتتت

بلا راع وصارت مأكلاً لجميع وحوش الحقل وتشتتت. ضلت غنمي في كل الجبال وعلى كل تل عال. وعلى كل وجه الأرض تشتتت غنمي ولم يكن من يسأل أو يفتش (حزقيال ٣٤: ٤-٦).

يختلف يسوع عن هذا النوع من الرعاة. فهو الراعي «الصالح». لم يأخذ أجرة مقابل خدمته، بل دفع حياته ليخدم لأنه يحب خرافه. وقد دفع بدمه لحمايتها. عندما يهدد الخطر (عندما يأتي الذئب أو الأسد لاذاء القطيع)، لا يختبي الراعي لينجو بنفسه من الأذى. انه يضع حياة الخراف والاهتمام بها في المقدمة.

توجد ليسوع علاقة حميمة مع الخراف، مشابهة بعلاقته مع الآب - حميمة وودية بوحدانية حسب ما ورد في (يوحنا ١٠: ١٤ و١٥). استخدم يسوع الكلمة «عرف» أربع مرات في هاتين الآيتين ليعبر عن العلاقة بينه وبين خرافه. انه يكون مع خرافه في الظلام وفي النور، في الضيق وفي الصحة الجيدة، في الخطر وفي السلام. يعرف خرافه شخصياً. يجد كل خروف عنايته الدائمة، ومحبته، واهتمامه، انه يشجع ويهتم، ويسهر على خرافه برفق؛ يحميها بقوة في وقت الخطر. يحكى قصة عن زوجين مسنين وقد حاصرهما الفيضان بعد ما انفجر السد. كانت المياه ترتفع، وعملية الإنقاذ جارية. والمياه التي بداءت تغمر كل شيء جعلت الوصول إلى المكان المرتفع أمراً عسيراً، كان الوقت ضيقاً. وكان الزوجين ينتظران معاً على سقف بيتهما لكي يصلهما المنقذون. وعندما وصل قارب الإنقاذ، لم يكن يتسع إلا لشخص وحد فقط. فأصر الزوج بان تذهب زوجته في القارب، ولكنها رفضت تماماً. أصرت أن تبقى مع زوجها بغض النظر عن خطورة ذلك. لم يعد يوجد وقت لاضاعته، لأن المياه كانت ترتفع بسرعة. فقال لهما الشخص المسؤول عن

القارب: «سأمضي بهؤلاء الركاب إلى بر الأمان، ثم أسرع بالعودة إليكما. إذ ان المياه ترتفع بسرعة هائلة». فما أن أسرع إلى مكان جاف وأنزل الركاب إلا ليرى أن البيت والزوجين قد جرفتهم الأمواج الجارفة. بقي الزوجان معا وماتا معاً. هل هناك محبة أعظم من هذه؟ نعم. «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يوحنا ١٥: ١٣). أن يموت الشخص لكي يحيا الآخرين تلك هي أعظم محبة. توجد لدى راعينا مثل هذه المحبة، وهو أعمق نوع من المحبة، المحبة التي هي أقوى من الموت. أسلم نفسه لأجل الخراف (أفسس ٥: ٢٥).

تشير كل الدلائل إلى أن إنجيل يوحنا كان قد كُتب في أواخر القرن الأول، ربما بين ٨٥-٩٥م. إذاً عرف القرَاء الأولون بان يسوع لم يقل انه يضع حياته لأجل الخراف فحسب، بل فعل ذلك بالحقيقة. لقد عبر عن أقصى مدى العناية بخرافه بموته لأجل الكنيسة.

ما أعظم هذه الحقيقة! لدينا رباً قديراً يقودنا. فهو يحب كل واحد منا ولم يتعهد بالتوجيه فحسب، بل أيضاً بالمحبة والحماية. قال بولس: «لأنه إن كنا ونحن أعداء قد صولحنا مع الله بموت ابنه فبالأولى كثيراً ونحن مصالحون نخلص بحياته» (رومية ٥: ١٠). إن كان يسوع يحبنا بما فيه الكفاية ليموت لأجلنا ونحن بعد في خطايانا، فكم بالأحرى يحبنا ويحافظ على خلاصنا الآن إذ نحاول ان نحيا له ونكون خرافه؟

الخلاصة

المثال الذي أعطاه يسوع في الأصحاح العاشر من إنجيل يوحنا يوضح ان الكنيسة هي رعية المسيح وتتكون من كل الخراف التابعة له. قال: «ولي خراف آخر

ليست من هذه الحظيرة ينبغي أن آتي بتلك أيضاً فتسمع صوتي وتكون رعية واحدة وراع واحد » (يوحنا ١٠: ١٦). لا بد ان تكون الخراف الآخر التي أشار إليها هي الأمم أو على الأقل تشمل الأمم، الذين يسمعون صوته ويدخلون رعيته. توجد في هذا المثال رعية واحدة وراع واحد فقط. فإما نحن في رعيته وتحت راعي واحد أم لسنا. إما نحن في كنيسته، أية كنيسة العهد الجديد، أم لسنا فيها.

من إحدى المضامين العملية لمثال الرعية والراعي هو انه يهديء خوفنا ويبدد همومنا. نحن نعلم من نحن لأننا خرافه؛ ونعلم ماذا نفعل لأننا مرشدين بصوته؛ مستقبلنا مؤمن لأننا محمين بحياته وموته. لنا الأحساس بالانتماء ما دام هو ربنا؛ لنا معرفة حقيقية لأن قائدنا هو رب السماء؛ ونحن تحت حماية سماوية من المسيح القدير الذي شاء أن يبذل حياته لأجلنا! إن عرفنا من نحن، لدينا إرشاد معصوم ولدينا الحماية التي ضحى بها المسيح، لماذا نخاف؟ فان الإيمان في راعينا يبدد مخاوفنا.

يمكننا ان نأخذ كلمات المزمور الثالث والعشرون ونطبقها على يسوع رغم انها كُتِبَت من قبل داود عن الله في العصر الموسوي:

{يسوع} راعي
فلا يعوزني شيء
في مراعي خضر يربضني؛
إلى مياه الراحة يوردني.
يرد نفسي؛
يهديني إلى سبل البر
من أجل اسمه.
أيضاً إذا صرتُ في وادي ظل الموت،

لا أخاف شراً؛ لأنك أنت معي.
عصاك وعكازك هما يعزيانني.
ترتب قدامي مائدة
تجاه مضايقي
مسحت بالدهن رأسي؛
كأسي ريا.
إنما خير ورحمة تتبعاني
كل أيام حياتي
وأسكن {مع مخلصي، الراعي
الصالح} إلى مدى الأيام.

قبل عدة سنوات عندما كنت مبشراً شاباً حضرت مأتم لأخ مسيحي. وكان المبشر الذي ألقى كلمة النعي هو أخي حسب الجسد، وما أتذكره هو ان الرجل الذي مات كان في الأربعينات من عمره فقط. وفي تعليقاته قال أخي الكلمات الأخيرة لهذا الرجل المسيحي قبل موته. قال بانه سرد المزمور الثالث والعشرون بصوت منخفظ، وعندما همس بالكلمات الأخيرة من ذلك المزمور، انقطعت أنفاسه. لقد وجد راحة في آخر لحظات حياته باقتباس المزمور الثالث والعشرون.

يدخل السلام والهدوء القلوب المضطربة والخائفة عندما نرى الله كالراعي لنا. هذا المثال التوضيحي الذي يصور يسوع كالراعي الصالح وأتباعه كخرافه يمكن أن يساعدنا في همومنا بطريقة مماثلة.

إن لم تكن في رعية المسيح، تذكر بانه ينبغي لك أن تدخل إلى رعيته من الباب الواحد – أي المسيح نفسه. أدخل المسيح مثال تشبيهي قصير (يوحنا ١٠: ٧–٩) في وسط حديثه الطويل (يوحنا ١٠: ١–٥ ، ١٠–١٨). فقد قال: « أنا هو الباب. إن دخل بي أحد فيخلص ويدخل ويخرج ويجد مرعى » (يوحنا ١٠: ٩). وقال فيما بعد: « أنا هو الطريق والحق والحياة. ليس أحد يأتي إلى الآب إلا بي »

(يوحنا ١٤: ٦). يتم الدخول في رعية المسيح بواسطة المسيح عندما يطيع أحد كلامه (يوحنا ٨: ٢٤؛ لوقا ١٣: ٣؛ متى ١٠: ٣٢ و٣٣؛ مرقس ١٦: ١٦).

اقبل إلى المسيح الراعي الصالح. وأدخل رعيته، وأجعله راعي حياتك، وشارك في الحياة الفائقة التي يعطيها (يوحنا ١٠: ١٠). ستحصل على خلاص في رعيته (يوحنا ١٠: ٩)، وملء الحياة (يوحنا ١٠: ١٠)، وحرية من الخوف (يوحنا ١٠: ١٢)، ومحبة (يوحنا ١٠: ١٥)، وتوجيه (يوحنا ١٠: ٤ و٥)، وحياة أبدية (يوحنا ١٠: ١٧). هل هناك طريقة أخرى أفضل يمكن ان تعيش بها بدلاً من ان تكون خروفاً في رعية المسيح؟

أسئلة للدراسة والبحث

١. ماذا تفعل عندما تثبط عزيمتك؟
٢. كم عدد الأمثال المعطاة في إنجيل يوحنا؟
٣. اشرح ماذا يعني لنا ان المسيح هو رب الكنيسة، وماذا يعني له ذلك؟
٤. كيف تشجعك الحقيقة ان المسيح يهتم برعيته؟
٥. أشرح مفهوم النص والمعنى المحدد لإنجيل يوحنا ١٠: ١٠.
٦. صف عدم قدرة الخراف في إرشاد بعضها.
٧. كيف يقوم الراعي بقيادة خرافه؟
٨. ما هو المستقبل الذي يكون للذين يرفضون التوجيه الإلهي؟
٩. صف «الأجير» وقارن بينه وبين الراعي الصالح.
١٠. أذكر ميزات الراعي غير الأمين كما صُوِّر في سفر حزقيال ٣٤: ٤-٦.
١١. تمعن في استخدامات الكلمة «عرف» في الأصحاح العاشر من إنجيل يوحنا، وعلق في معنى هذه الكلمة (لاحظ الآيتين ١٤ و١٥).
١٢. من هم «خراف أخر» المذكورين في إنجيل يوحنا ١٠: ١٦؟
١٣. كيف يصير الفرد خروفاً من خراف المسيح؟

جميع الحقوق محفوظة ٢٠٠٧